العـــزف على جميـــع الأوتـــار !!

بقلم
احمد
طلعت

المشكلة اننا - فى العالم العربى - ننفعل بسرعة ، فنهتم بظواهر الأحداث ، ولا نحاول دراسة الاسباب التى تؤدى اليها .

ومن امثلة ذلك الموقف السطحى الذى اتخذناه من موضوع اغتيال الرئيس الجزائرى بوضياف .

ونحن - ابتداء - نرفض العنف والارهاب بكافة صوره ، وعلى وجه الخصوص الاغتيال من اجل الخلاف فى الرأى أو فى المواقف .

لكننا اذا ارتدنا ان نكون واقعيين ، فلابد ان نعالج الاسباب التى تؤدى الى العنف ، ولا نقتصر فقط على استنكاره بعد ان يقع .

وبمعنى اوضح ، واصرح ، فانه لا ينبغى ابدا ان نضع شعوبنا فى اشد حالات اليأس ، ثم نلطم الخدود لأن هذه الشعوب قد اقدمت على الانتحار !!

لا يمكن ابدا ان نغلق فى وجه الشباب كل ابواب الأمل فى امكانية التغيير الديموقراطى ، ثم نلوم قلة دفعها اليأس الى اللجوء الى العنف باعتباره - فى نظرها - السبيل الوحيد الى التغيير .

وليست هذه بطبيعة الحال - محاولة لتبرير العنف ، أو اعطاء الشرعية للارهاب ، فهذا آخر ما نسعى اليه ، انما نحن فقط ندعو الى الجدية واليقظة اللازمة لاقتلاع الأرهاب من جذوره ، بعد ان تصورت بعض الحكومات انها قادرة على مواجهة الأرهاب بالقبضة الحديدية ، أو باحلام اليقظة .

وبصراحة شديدة - والعالم من حولنا يشهد - ان ظاهرة التطرف والأرهاب لا تنشأ ولا تتفاقم الا فى ظل انظمة تسلب الحريات ، وتمارس القهر الفكرى ، وتجعل من السلطة احتكارا لها لا ينافسها عليها أحد ..

واليد الحديدية تستطيع - فقط - ان تؤجل موعد الانفجار ، لكنها لا تستطيع ابدا ان توقف الكراهية والغليان ..

وأمامنا الأمثلة من ايران ، ومن السودان وكلها تؤكد أن غياب الديمقراطية واحتكار الجزائر ، ومن السلطة لفترات طويلة ، وفرض القبضة الحديدية على الشعوب ، كانت وراء كل الانفجارات .. وكل التجاوزات .

ونقول بصراحة ، ان الحكومات التى تحاول ان تعزف على كل الأوتار ، وتحقق جميع التوازنات ، وتزايد على كل الشعارات ، هى التى تعمل - دون ان تدرى - على التعجيل بالانفجار .

الجزائر مثلا - ومنذ انقلاب بومدين فى عام ١٩٦٤ عطلت الحياة السياسية ، والغت الأحزاب ، وكبتت الحريات ، ومن اجل احتكار السلطة وبقاء قلة قليلة فى مقاعد الحكم .

وفى ظل هذه العملية الاحتكارية ، انتشرت ظاهرتان فى المجتمع ، كلاهما اشد خطرا من الأخرى .. الظاهرة الأولى ، الفساد والرشوة وما يترتب عليها من انهيار اقتصادى واجتماعى ، والظاهرة الثانية هى كراهية النظام - واحتقاره - الى الحد الذى يدفع الى مقاومته عن طريق العنف والأرهاب ، بعد ان اصبح هو الطريق الوحيد المتاح لمقاومة احتكار السلطة .. واحتكار الرأى ..واحتكار الاسلاب والمغانم .

فلما اعلنت الجزائر - تحت ضغط المتغيرات الدولية - عن انتقالها (المفاجىء) الى نظام التعددية الحزبية ، وقامت باجراء انتخابات (حرة ونزيهة) وهو التعبير الذى كان يردده دون انقطاع رئيس الوزراء الجزائرى سيد احمد غزالى ، اسفرت الانتخابات عن فوز الجبهة الاسلامية للانقاذ ، لا حبا فى على وانما كرها فى معاوية .

واذا بالسلطة الحاكمة فى الجزائر ، وسيد احمد غزالى نفسه ، الذى اشرف على اجراء الانتخابات ، تعلن ان نتيجة الانتخابات تهدد أمن الدولة ، مع انهم هم انفسهم الذين اشرفوا عليها وتعهدوا امام الشعب عشرات المرات بأن تكون الانتخابات (حرة ونظيفة) !!

وإذا بنتائج الانتخابات تلغى ، والاحكام العرفية تعلن ، ويعود العسكريون الى الحكم تحت ستار واجهة من المدنيين اسمها .. محمد بوضياف .

بوضياف الذى كان غائبا عن المسرح السياسى فى الجزائر اكثر من ثلاثين عاما اقام خلالها خارج البلاد ، عاد فجأة ليتولى مهام رئيس الدولة ، وهو فى حقيقة الأمر قد تولى مهمة القناع الذى يستتر وراءه العسكريون ..

والرجل - يرحمه الله - كان وطنيا مخلصا وعفيفا ، لكنه وقع - وربما بحسن نية - فى الفخ المنصوب لاستمرار عملية احتكار السلطة .. ومع ذلك فاننا نكرر اننا نرفض عملية اغتياله ، وتدينها ، لكننا فى نفس الوقت نحذر من ان الاسباب تؤدى الى المسببات ، وانه اذا استمرت مؤامرة الاستهانة بالشعوب ، وحكمها بالقبضة الحديدية ، فانه لابد ان يخرج من صفوفها ارهابى يحاول التغيير بيده ، حتى وان كان ارهابه مرفوضا .. ومدانا ..

جذور الأرهاب - اذن - تقتلعها حرية الشعوب ، ولا تقضى عليها .. القبضة الحديدية .

ملحوظة : العاقل من يتعظ بغيره ، ولا يدفن رأسه فى الرمال !!